مستقلة إن شاء اللَّه تعالى. وكان وزيره الأكبر الفقيه أحمد بن عليّ النَّهْمي ما زال قائماً بالمهم من أموره وأمر أكثر بلاده إليه من أول خلافته إلى قبيل موته بقليل. وكان هذا الوزير من محاسن الزمن، له محبة للخير وإقبال على الطاعة وميل إلى أهل العلم والصلاح ومواساة الضعفاء، مع صدق لهجة وحسن اعتقاد. وكان يغضب إذا قال له قائل إنه وزير أو عظّمه أو وصفه بوصف له مدح فيه. ولم يأت بعده في مجموع خصاله مثله إلَّا الحَسَن بن عليّ حَنَش المتقدم ذكره، فإنَّه سلك طريقته، وفاقه بكثرة البذل والعطاء، ولكن لم يكن إليه من الأعمال ما كان إلى هذا، فإن الذي إلى هذا من البلاد هو غالب البلاد اليمنية. ولصاحب الترجمة أولاد، هم سادات السادات، وكل واحد منهم لا يخلو عن فضيلة، ويجمعهم جميعاً حسن الفروسية وجودة الخلق والتمسك بنصيب من العرفان، وأكبرهم عبد اللَّه، تُوفي في حياة والده. وبعده مولانا الإمام خليفة العصر المنصور باللَّه عليّ، وستأتي ترجمته. وبعده مُحمَّد، وهو من أكابر آل الإمام، وله نصيب من الكمالات وافر. وبعده القَاسِم، وهو من فحول السادات وأعيان القادات، وله مشاركة في العلم جيدة. وبعده يُوسُف، وهو حَسَن الأخلاق كريم الأعراق. وبعده أحمد، وهو أوسعهم علماً وأقواهم فهماً، له اطلاع كلّي على علم التاريخ والأدب ومعرفة بفنون من العلم ومشاركة كلّية في أنواع منه، وله شعر، وفيه رغبة إلى المباحثة. وهو كريم مطلق قليل النظير في مجموعه. وبعده إسماعيل، وهو قليل النظير في حسن أخلاقه وتواضعه وسلامة فطرته وعفافه. وهؤلاء هم الكبار من أولاد صاحب الترجمة، وهم كثيرون، وجميعهم كما قال القائل: [من البسيط]

مَنْ تَلْقَ مِنْهُم تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْل النُّجومِ التي يَسْري بها السَّاري[1]

(٢٢٢)

(السيد العبَّاس بن مُحمَّد المَغْربيّ التُّونسيّ)

قدم إلى صنعاء في سنة (١٢٠٠)، وله معرفة بعلم الحروف والأوفاق، رأينا منه في ذلك عجائب وغرائب، وأخذنا عنه في علم الأوفاق لقصد التجريب لا لاعتقاد شيء من ذلك. وكان إذا احتاج إلى دراهم أخذ بياضاً وقطعه قطعاً على صور الضربة المتعامل بها ثم يجعلها في وعاء ويتلو عليها فتنقلب دراهم. وكنت في الابتداء أظن ذلك حيلة وشعوذة، فأخذت ذلك الوعاء وفتشته فلم أقف على الحقيقة، فسألته أن يصدقني فقال: إن تلك الدراهم يجيء بها خادم من الجن يضعها في ذلك الوعاء بقدر ما جعله من قطع البياض ويكون ذلك قرضاً حتى يتمكن من القضاء فيقضي. وكان

(١) السَّاري: السَّائر بالليل.

يضع خاتم أحد الحاضرين في إناء ويجعل فيه ماء ويرتب فيسمع الحاضرون في ذلك الإناء صوتاً مفزعاً ويرتفع ذلك الخاتم فيقع في حجر صاحبه، فظننت أنه يضع في الإناء تحت الخاتم شيئاً من المعادن يكون له قوة يدفع بها الخاتم فتركته حتى وضع الإناء ووضع فيه الخاتم فقمت فأخذته فلم أجد فيه شيئاً. ثم أمرني أن آخذ إناءً آخر وأضع فيه ماء بيدي وأضع الخاتم من دون أن يمس هو شيئاً من ذلك، فَفَعلْتُ، وتلا، فسمعنا ذلك الصوت، وارتفع الخاتم، ووقع في حجر صاحبه. وله من هذا الجنس عجائب وغرائب. واتصل بخليفة العصر حفظه اللّه وكساه كسوةً عظيمةً، وأعطاه عطاءً واسعاً. وكان يكثر التردد إليّ وأنا إذ ذاك مشتغل بطلب العلم. ثم عزم صحبة الحجَّاج، فوصل إلى مكة، وإذا جماعة من حجَّاج الغرب يسألون عَنْهُ حجَّاج اليمن. ومن جملة من سألوا رفقته الذين حجّ معهم من أهل اليمن فسألوهم عن حاله فأخبروهم أن أباه من أكابر تجار الغرب، وأنه مات وخلف دنيا عريضة. وكذلك وصف لنا من رافقه من حجَّاج اليمن في الطريق من مروءته وإحسانه إليهم في الطريق وشكره لأهل اليمن عند أصحابه وغيرهم ما يدلّ على أنه من أهل المروءات. ومن جملة ما وصفوه أنهم وصلوا إلى البحر فعدم الماء في السفينة وهم بقرب جزيرة فيها ماء عذب، ولكن فيها جماعة من اللصوص قد حالوا بين أهل السفينة وبين الماء. واشتدت حاجتهم إلى الماء ولم يقدر أحد على الخروج، فاشتمل هذا السيد على سيفه وخرج، وأخرج معه قرب الماء، فلما رآه اللصوص هربوا. وكان طويلاً ضخماً حسن الأخلاق أبيض اللون شديد القوة ويحفظ منظومة في فقه المالكية، وله معرفة بمسائل من أصول الدين. وكان يُصمِّم على ما يعرفه، فإذا ظهر له الحق مال إليه. وكنت مرة أنا وشخص عندي كان يحضر عند اجتماعي بالسيد فأخذنا من تحرير أوفاق قد حفظناها منه ولم يكن حاضراً، فلما فرغنا من تحرير بعضها وضعناه في النار حتى التهب ثم جعلناه في الطاقة فلم نشعر إلَّا بطائر قد انقض على تلك الورق التي تلتهب فأخذها وذهب، فعجبنا من ذلك غاية العجب. ولم نقف للمترجم له على خبر بعد ارتحاله. وقد كان يحكي لنا من أحوال أهل الغرب حكايات عجيبة. وكانت مدة الاجتماع به نحو ثلاثة أشهر أو أكثر.

(٢٢٣)

(عبد البَاسِط بن خَليل بن إبراهيم الدِّمشقيّ ثم القَاهريّ)[1]

قال السّخاويّ: هو أول من سُمِّي بعبد الباسِط. ولد سنة ٧٨٤ أربعٍ وثمانين

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٤/ ٢٤؛ الأعلام: ٣/ ٢٧٠.